ما بدأت دبلوماسيتك الشرق اوسطية بطرح مبادرات ضخمة للسلام، فانها «سوف تنعكس على كل الاطراف التي تبدأ بالتراجع وتأخذ بمهاجمتها». فبالنسبة الى «الحمائم» الاسرائيليين الذين يريدون من واشنطن ان «تنقذ اسرائيل من نفسها» سوف تكون النتائج ضئيلة؛ وبالنسبة الى الاسرائيليين المتشددين سوف تكون باهظة التكاليف؛ امّا بالنسبة الى حلفاء واشنطن العرب وم.ت.ف. فسوف تبدو تافهة، لا سيما في ظل التعاطف العالمي بعد مرور اكثر من عام على انطلاقة الانتفاضة في الارض المحتلة، وايمانهم الراسخ بأن هذا التعاطف ينبغي ان يتحول الى مكاسب مادية ملموسة على الارض[٢١]. ما هي، والحال كذلك، السياسة الاميركية المقترحة ؟

ان احد الاسباب التي تجعل الادارة الاميركية تشعر، بوضوح، بأنها تستطيع منح اسلوب الخطوة خطوة فاعليته ـ اضاف فريدمان ـ هو وجود قليل من الضغط الداخلي الاميركي للقيام بدور الوسيط الفعّال من اجل اقرار السلام في الشرق الاوسط، حيث لا يوجد تهديد نفطي، كما كان الحال عليه بعد حرب العام ١٩٧٣، والذي حمل كيسنجر وكارتر، فيما بعد، الى وضع الشرق الاوسط على رأس جدول اعمال سياستهما الخارجية. ثمّ ان الامر الاكثر اهمية هو طبيعة النزاع العربي ـ الاسرائيلي التي تغيرّت معطياتها. ففي عقد السبعينات، كان النزاع يدور، اساساً، بين اسرائيل المدعومة من الولايات المتحدة، وبين الدول العربية المدعومة من الاتحاد السوفياتي؛ بمعنى ان اي معركة كان يمكن ان تصعّد، بسرعة، مواجهة القوتين العظميين. امّا اليوم، فقد اصبح النزاع الاساس بين اسرائيل وفلسطينيي الارض المحتلة. وعلى الرغم من ذلك، تعتقد الادارة الاميركية الجديدة، بوضوح، بأنه من الترف ترك الاوضاع في المنطقة حتى تنضج؛ فلا تزال هناك شكوك كبيرة موجودة عند خبراء الشرق الاوسط الرئيسين في ادارة بوش حول ما اذا كانت الانتفاضة الفلسطينية ستجبر الاسرائيليين او الفلسطينيين على تبديل مواقعهما الاساسية. وان افضل سبيل الى اختبار ذلك هو الطلب من الجانبين «وضع بعض العناصر الجديدة في اسلوب خطابهما»[٢٢].

هنا يقترب التحليل من الواقع السياسي المعاش. فبما ان هذا الوضع ينطوي على وقائع جديدة متحركة، فان الحاجة الى سياسة جديدة ناشطة ومنعشة باتت ملحّة، كي تخرج الامور من حالة الركود القائمة. والسؤال، الآن: ما هي الارضية الفكرية لهذه السياسة، او على الاقل، ما هي سماتها الاساسية في مجال السياسة الخارجية الاميركية تجاه الموضوع الفلسطيني ؟

اولوية التفاوض المباشر

من الطبيعي القول، ان النخبة المسؤولة عن صنع القرار في الولايات المتحدة ليست كتلة متماسكة متراصة؛ وعليه، فلا بدّ لأي مناقشة جدية للتعقيدات والملابسات المحيطة بصنع القرار الاميركي حيال الموضوع الفلسطيني ان تأخذ، في الاعتبار، التمايز بين الكتابات السائدة التي تعكسها التيارات المختلفة، وفق عناصرها الفكرية، بغية الوصول الى محاولة القبض على مفاتيح رسم السياسة العامة.

وسواء أكان القارىء اطلع على هذه الكتابات، او لم يطّلع عليها، فاننا قد عمدنا، بسبب طبيعة واهمية الافكار الواردة فيها، الى ايراد اقتباسات ضافية منها، سواء أكانت تتضمن شواهد من الماضي، أم كانت تتضمن احكاماً واستنتاجات مبنيّة على هذه الشواهد، ام كانت تتضمن الاثنين معاً. ونظنّ ان هذه الكتابات اتسمت بجامع مشترك اعظم؛ فهي، جميعاً، اعتمدت على منهجية الحذف، ومنهجية تفريغ النزاع العربي ـ الاسرائيلي من ابعاده الاقليمية، ومنهجية التناول الجزئي